سبعة شهور مباحثات قبل مدريد

في آذار (مارس) ١٩٩١، وصل وزير الخارجية الاميركية، جيمس بيكر، الى الشرق الاوسط، في أول رحلة مكّوكية يقوم بها بعد توقّف الأعمال العسكرية في منطقة الخليج، حيث وجدت الولايات المتحدة الاميركية وحلفاؤها أنفسهم في مواجهة استحقاقات ما بعد الحرب على صعيد الصراع العربي - الاسرائيلي والصراع الفلسطيني - الاسرائيلي، الذي رفضت الادارة الاميركية ربطه بأزمة الخليج، وأصرّت على وضع حلول منفصلة لكل من الازمتين العربية - الاسرائيلية والخليجية. وجاء بيكر مستهدفاً فتح ملف الصراع العربي - الاسرائيلي الذي وعدت بلاده بمعالجة ما يحويه من قضايا ومشاكل فور الانتهاء من أزمة الخليج. وتطلّب ذلك اجراء لقاءات مع المسؤولين في الحكومة الاسرائيلية، وفي كل من مصر والاردن وسوريا، اضافة الى الشخصيات الفلسطينية في المناطق المحتلة. واستغرقت مهمّة بيكر هذه، التي بدأت استطلاعية وانتهت بعودته الى واشنطن في أواخر تشرين الاول (اكتوبر) ١٩٩١، حاملاً معه أسماء وفد فلسطيني الى مؤتمر السلام يعقد في مدريد تحت رعاية الولايات المتحدة الاميركية والاتحاد السوفياتي، قرابة سبعة شهور، قام بيكر، في خلالها، بثماني جولات مكّوكية، والتقى عدداً من الشخصيات الفلسطينية مرّات عدّة في القدس، بهدف التوصّل الى صيغة لمشاركة فلسطينية في المؤتمر.

شكّل لقاء بيكر الأول بوفد من الشخصيات الفلسطينية، في مبنى القنصلية الاميركية، في القدس، بتاريخ ١٢ آذار (مارس) ١٩٩١، حدثاً سياسياً بارزاً. فقد أحدث تطوّراً في مستوى العلاقات الاميركية - الفلسطينية، واتصالات واشنطن بسياسيين فلسطينيين من المناطق المحتلة، ووضع، في الوقت عينه، حدّاً لمقاطعة الفلسطينيين للوفود الاميركية. وكانت الشخصيات الوطنية في الضفة الفلسطينية وقطاع غزة التزمت موقف المقاطعة منذ عرقلت واشنطن صدور قرار عن مجلس الامن الدولي، في أيار (مايو) ١٩٩٠، دعا الى إجراء تحقيق في مقتل سبعة عمّال فلسطينيين في حادثة دموية مدبّرة في «ريشون لتسيون» (عيون قاره)، حيث استخدمت واشنطن حق النقض (الفيتو) ضد مشروع القرار. كذلك كان اللقاء الفلسطيني مع بيكر أول اتصال اميركي - فلسطيني على مستوى وزارة الخارجية منذ التقى الرئيس الاميركي، جورج بوش، ١٨ شخصية فلسطينية في القدس، في تموز (يوليو) ١٩٨٦، وكان حينذاك نائباً للرئيس. كما جاء اللقاء بعد مقاطعة فلسطينية لوزير الخارجية الاميركية السابق، جورج شولتس، استمرت حتى العام ١٩٨٨.

تقدّم محدود

لم يعط الاجتماعان، الأول والثاني، بين بيكر ووفد فلسطيني من المناطق المحتلة أية نتائج ملموسة. لكنهما تركا الباب مفتوحاً للقاءات أخرى. وكان أبرز ما تمّ تناوله، في خلالهما، موقف الولايات المتحدة الاميركية من منظمة التحرير الفلسطينية ومقاطعتها لها. وقدّم الوفد الفلسطيني الى بيكر رسالة تضمّنت ١١ نقطة، حدّدت، منذ البداية، الموقف من م.ت.ف. بوصفها القيادة الشرعية الوحيدة للشعب الفلسطيني والناطقة باسمه والمجسّدة لهويته الوطنية والمعبّرة عن ارادته في كل مكان. وتراوحت تقويمات الفلسطينيين للقاء مع بيكر ما بين الخيبة والتشاؤم.

أمّا الجولة الثالثة من المباحثات فعقدت في أواخر نيسان (ابريل) ١٩٩١، بعد قرار من م.ت.ف. سمح باجراء مباحثات بين وفد فلسطيني ووزير الخارجية الاميركية. وقد ضمّ الوفد كلاً من فيصل الحسيني (رئيساً) والدكتورة حنان عشراوي والدكتور زكريا الآغا (عضوين). وقد أكد الوفد، في مذكّرة أخرى سلّمها لبيكر، موقفه من